Turath
ISSN : 2830-9863 ; EISSN : 2992-0698
Volume 4 Issue 1 / June 2026 pp. 12-34

The Role of Folk Poetry in Resistance and Struggle in Southern Algeria

Achour SERGMA
ORCID: 0000-0002-5582-7123

University of Ghardaia, Algeria
Sergma.achour@univ-ghardaia.edu.dz

Received: 11/06/2026
Accepted: 18/06/2026
Published: 30/06/2026

*Corresponding author:
Achour SERGMA,
Sergma.achour@univghardaia.dz

Citation:
SERGMA, A. (2026). The role of folk poetry in resistance and struggle in southern Algerian. *Turath 4*(1), 10-32.

© 2026 **Turath** / Published by the Centre of Research in Social and Cultural Anthropology (CRASC), Algeria.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND 4.0 license.

ABSTRACT: *The collective memory of the Algerian Sahara has preserved a rich body of popular poetry through which local poets recorded many of the key moments in the Algerian people's struggle against French colonial rule. These poems recount important battles, historical events, and acts of resistance that shaped the long journey toward freedom and national independence. Like poets across the country, those from southern Algeria played an active role in preserving the memory of this struggle. Their poems offer valuable insights into the Revolution in these regions and help transmit the experiences of resistance—from popular uprisings to the War of Liberation—to future generations. Beyond their historical significance, these texts also possess considerable artistic value. Through vivid imagery, evocative language, and distinctive poetic forms, they transform lived experiences into enduring expressions of collective memory.*

The article highlights some of the most influential folk poets whose verses celebrated the courage of freedom fighters and reflected the realities faced by local populations. It also explores the major events, battles, and heroic figures commemorated in these poems, drawing on selected examples of songs and chants that have been passed down through generations and remain deeply rooted in collective memory. By emphasizing the historical and cultural significance of this poetic heritage, the study proposes ways to preserve and promote these texts while encouraging their wider use in future scholarly research on Algeria's history and cultural memory.

KEYWORDS: Folk Poetry, Resistance, Struggle, Southern Algeria, Collective Memory

Le rôle de la poésie populaire dans la résistance et la lutte au Sud algérien

RÉSUMÉ: *La mémoire collective du Sahara algérien a préservé un patrimoine de poésie populaire à travers lequel les poètes locaux ont relaté de nombreux épisodes marquants de la lutte du peuple algérien contre la colonisation française. Ces poèmes évoquent des batailles décisives, des événements historiques majeurs et des actes de résistance qui ont jalonné le long parcours menant à la liberté et à l'indépendance nationale.*

À l'image des poètes des autres régions du pays, ceux du Sud algérien ont largement contribué à sauvegarder la mémoire de ce combat. Leurs œuvres offrent un éclairage précieux sur la Révolution dans ces territoires et participent à la transmission, aux générations futures, des expériences de résistance, depuis les soulèvements populaires jusqu'à la Guerre de libération nationale. Au-delà de leur intérêt historique, ces textes se distinguent également par leur richesse artistique. Grâce à un langage expressif, à des images poétiques évocatrices et à des formes d'expression originales, ils transforment les expériences vécues en témoignages durables de la mémoire collective.

L'étude met en lumière quelques-uns des poètes populaires les plus influents, dont les vers ont célébré le courage des combattants de la liberté tout en rendant compte des réalités vécues par les populations locales. Elle examine également les principaux événements, batailles et figures héroïques évoqués dans ces poèmes, en s'appuyant sur des exemples de chants et d'airs populaires transmis de génération en génération et demeurés profondément ancrés dans la mémoire collective. En soulignant la valeur historique et culturelle de cet héritage poétique, cette contribution propose des pistes pour sa préservation et sa valorisation, tout en encourageant son intégration dans les recherches futures consacrées à l'histoire et à la mémoire culturelle de l'Algérie.

MOTS-CLÉS: Poésie populaire, Résistance, Lutte, Sud algérien, Mémoire collective.

دور الشعر الشعبي في المقاومة والنضال بالجنوب الجزائري

ملخَّص: تحتفظ الذّاكرة الشّعبية في مختلف ربوع الصّحراء الجزائرية بعدد من النّصوص الشّعرية الشّعبية التي استطاع الشعراء من خلالها توثيق كثير من المحطات، وذلك بتخصيص الحديث عن بعض المعارك والأحداث الهامة التي صاحبت مسيرة الشعب الجزائري في نضاله ضد المستعمر الفرنسي في سبيل استرجاع سيادته. واشترك في ذلك شعراء الجزائر في الشمال والجنوب والشرق والغرب، وتحمل تلك النصوص الشعرية الشعبية العديد من التفاصيل التي يمكن أن تسهم بشكل مباشر في التأريخ للثورة بتلك الربوع، ونقل قصة جهاد ونضال الشعب الجزائري في مقاوماته الشعبية وثوراته التحريرية، لتصل للأجيال اللاحقة بجميع تفاصيلها، وهي إضافة إلى ذلك تحتفظ ببعدها الجمالي والإبداعي، حيث نُظمت تلك الأحداث في تراكيب لغويّة متميزة وصور إبداعية، وبذلك تحقق فيها جمال المبنى وجلال المعنى.

سنعرِّف في مقالنا بأبرز الشعراء الشعبيين الذين جعلوا من قصائدهم سجلاً حياً لتضحيات المجاهدين ومعاناة السكان وآمالهم في الحرية والاستقلال. كما سنستعرض أهم الأحداث والمعارك والشخصيات البطولية التي خلدتها هذه النصوص الشعرية، مع تقديم نماذج مختارة من الأشعار والأهازيج التي تناقلتها الأجيال وحفظتها الذاكرة الجماعية. وفي الأخير، سنقترح بعض السبل الكفيلة بتثمين هذا التراث الشعري وإبراز قيمته العلمية والثقافية، بما يتيح الإفادة منه في الدّراسات والبحوث المستقبلية، قبل أن نختم بأبرز النتائج التي يمكن استخلاصها من هذه القراءة.

الكلمات المفتاحيَّة: شعر شعبي، مقاومة، نضال، جنوب الجزائر، ذاكرة جماعية.

مقدّمة

لقد أشاد العديد من شعراء الجنوب الجزائري بالمقاومات الشعبية التي عرفتها مختلف مناطق الوطن عامة ومناطق الجنوب بصفة خاصة، واستطاعوا من خلالها إبراز مقاومة الشعب الجزائري للمستعمر الفرنسي دفاعاً عن وطنه وشخصيته ومقومات هويته العربية والإسلامية، والأمر نفسه بالنسبة للثورة التحريرية المباركة التي كان لها أيضاً نصيبها من الاحتفاء لدى شعراء الملحون بالجنوب الجزائري، وهو ما سنحاول أن نعرضه في مقالنا هذا.

نحاول أن نسلط الضوء في هذه الورقة على منطقتي غرداية والمنيعة بالجنوب الشرقي الجزائري؛ باستحضار بعض الأعلام من الشعراء والنصوص الشعرية الجديدة لتبيان كيف يمكن أن يقدم الشعر الشعبي خدمة كبيرة للتأريخ، ومنه التعريف ببعض المحطات التاريخية الهامة في انتفاضة الشعب الجزائري بالجنوب الجزائري بصفة خاصة بالقطر الجزائري بصفة عامة ضد المستعمر الغاشم.

وتمكنا من خلال البحث في سير وتراجم ونصوص شعراء الملحون بغرداية والمنيعة منذ ما يقارب خمس عشرة سنة من الوقوف عن عديد الشعراء والشاعرات[1]، ومعظم هؤلاء الشعراء تحدثوا في قصائدهم عن الثورة التحريرية المباركة بعضهم عايشها والبعض الآخر يروي تفاصيلها من خلال ما توارثته الذاكرة المحلية من أحداث ووقائع حولها، في إطار إيصال رسالة الثورة إلى الأجيال الحالية وللمحافظة على مكاسبها، وبعض أولئك الشعراء عايشوا الثورات الشعبية مثل الشاعر قدور بلخضر بيتور الذي عايش ثورة الشيخ بوعمامة، ومن أولئك الشعراء الذين جمعنا تراجم حولهم بغرداية والمنيعة نذكر:

من شعراء "متليلي الشعانبة"

قدور بلخضر بيتور، عبد القادر بن الشرع، الحاج علي الزيغمي، الحاج أحمد هيبة (بهينيسة)، الحاج محمد زيطة، الحاج محمد مصطفى، الحاج البشير بن محمد السيراج، الحاج عبد الله السيراج، خالد شامخة، جلول خرنق (بن لخضر)، عبد الله السراج، آل سيد الشيخ عبد المالك، لحسن أولاد العيد، عمر أبو حفص نواصر بن جلول، الحاج أحمد لعمش الملقب (بن حريرة)، الشيخ محمد شرع الملقب (المحصر)، الشيخ المجاهد مرسلي عبد القادر...

من شعراء "المنيعة"

شبير جلول، شبير ابراهيم بن براهيم، بن حمادي، لحبايكي قدور، سليماني ابراهيم، قدور اولاد المختار، بن عبد الرحمان الطاهر علي بلحاج، حمة بلحاج، الشيخ مسعودي، خليفة قادة بن فضل، امحمد أولاد الحاج ابراهيم...

من شعراء منطقة "القرارة" وضواحيها

أولاد مبارك ميلود، البشير أولاد العيد، عبد القادر بطاش، البار حمية، بن عيسى يحي بن فتيتة، البار العلمي، عبد الله البار، البار مسعود، جريوي حيدر، ضبع قدور، الحيلي محمد بن الأخضر، أولاد النوي أحمد، أولاد النوي الصغير بن العلمي، بن علي سعيداني بن عبد الرحمان، جعيدير لخضر، عالب قويدر، جعيدير زيان، الڤيرع محمد، الداودي السعيد بن خليفة...

[1] ونحن نحاول خلال هذه السنوات تثمين هذه العملية في إطار مشروع PRFU بعنوان: موسوعة شعراء الملحون بغرداية والمنيعة: جمع وتصنيف

من شعراء منطقة "برّيان"

سيدي أحمد بن الحرمة، سي ابراهيم بن سيدي أحمد بن الحرمة، علي بن حسن اولاد مبارك اليحياوي، [قطاف بن قطاف بن سعيد – عيسى بن الطاهر – مطلق عمار بن الحاج سعد – النعجة سعيد بن الحاج اعطيه – الشاعرة خديجة بنت بالحارث " الحشودية"[2].

ومن الشواعر بغرداية

نذكر رمضاني إلهام (القرارة) عكري النوية (غرداية) حدة بن عمران (متليلي) وغيرهن.

كثيرة جداً هي المقاومات الشعبية التي انفجرت بالجنوب الجزائري أو امتدت إليه من مناطق أخرى بشمال وتل الجزائر نذكر بعضها حسب الترتيب الزمني:

نُسلِّط الضّوء في مُداخلتنا على الشّعر الشّعبي الملحون الصّوفي في الجزائر؛ وكيف استطاع أن يكون صوتاً مَسموعاً يُرافق مُختلف الطّرق الصّوفية في نضالها وسعيها للتّحرر، وقد عَرفت الجزائر وخاصة مناطق الجنوب الجزائري عديد الثّورات الشّعبية التي كان لمختلف الطرق الصوفية دورٌ كبيرٌ في احتضانها والسّير بها ابتغاء التّحرر والانعتاق من قيود الاستدمار.

ولعلَّه من الجدير بالذِّكر الإشارة إلى أن الجزائر عرفت عدّة ثورات شعبيّة، والتي كان قادتها يَنتمون لمختلف الطُّرُق الصُّوفية مثل القادريّة والشّاذلية والتّيجانيّة وغيرها وما تفرَّعت عنها من طُرُقٍ أخرى، ومن تلك المقاومات الشعبية نذكر: مُقاومة الزّعاطشة (1848) – مقاومة بن ناصر بن شهرة بالأغواط ومقاومة تقرت (1851) - مقاومة أولاد سيدي الشّيخ (1864) - مقاومة المُقراني والحَدّاد (1871) - مقاومة واحة العامري (1876) - مقاومة الشّيخ سيّدي بوعمامة (1908-1881) - مقاومة التّوارق الأهقَّار وآزجر(1880) بأقصى الجَنوب الجزائري؛ وأيضاً معركة الدُّغَامْشَة (5 جانفي 1900م الموافق لـ4 رمضان 1317هـ) بقيادة مولاي عبد الله الرَّقاني بن مولاي العباس بمنطقة تيديكلت، وظهر على إثر ذلك عَديد الشعراء منهم سيدي لخضر بن خلوف (مثلاً: قصيدته "قصّة مَزَّغْرَانْ") ومنهم أيضاً الشّيخ سيدي أحمد بن الحرمة ببريان ومحمّد بلخير بالبيّض وقدّور بَلَّخْضَر بيتور في متليلي الشّعانبة وقويدر بن طريبة في ورقلة وعبد الله بن كرّيو بالأغواط وغيرهم كثير، حتَّى أنَّه يُمكن أن نُلقِّب بَعضهم بـ"شُعَرَاء الطَّريقة"، لكثرة النصوص التي كتبوها في امتداح مَشَايخ طرق الصوفية؛ ومختلف محطَّاتهم النِّضاليّة، وبالتالي فهي تحقق بصدق ثنائية الشيخ والمريد (الذي هو الشاعر)، وتؤطر كلَّ ذلك عاطفة متميزة من الحب الصوفي.

وقد نَقَلَتْ لنا قَصائد الشّعر الشّعبي الملحون عديد التَّفاصيل المُتعلقة بتلك المعارك الفاصلة بين المجاهدين وقُوَّات الاستعمار الغاشِم، وَذَكَرت لنا عديد التّفاصيل التي قد تجعل منها وثيقة تاريخيّة، وشاهداً على الدَّور الكبير للطُّرق الصُّوفية في مقاومة المستعمر، واستحضار فكرة الجهاد والنّضال، واعتباره قضيةً مِحوريةً وأسلوباً لا بُدَّ منه للدّفاع عن بلاد الإسلام والمسلمين، ويمكن الإشارة إلى أن لغة تلك النصوص لم تكن موغلة في فلسفة التصوف وقضاياه، واستعمال الرمز واللغة الصوفية، بل كانت بسيطة في ألفاظها إلا أنها تجمع بين جمال المبنى وجلال المعنى.

[2] ينظر: مطلق عمار بن الحاج سعد، مدخل إلى تاريخ أولاد سيدي يحي الحسني الأشراف بالصحراء الجزائرية، ط1، 2011، مطبعة سي العربي، بن عكنون الجزائر، ص: 156، وقد أورد الكاتب بعض أشعارهم في هذا الكتاب.

ولأن أولئك الشّعراء كانوا يُشكِّلون خطراً على السُّلطات الاستعماريّة فقد تم نفي بعضهم وتغريبهم عن أوطانهم للتقليل من خطرهم، كما فُعل بالشاعر ولعلنا نبدأ من الوقوف عند بعض المحطات التي تبين بأن الشعراء كانوا يشكلون خطراً على السلطات الاستعمارية لذلك دائماً ما كانوا يضايقونهم أو ينفونهم من أوطانهم إلى أماكن بعيدة، وهو ما فعلته مع عديد الشعراء الشعبيين الجزائريين نذكر منهم:

نفي الشاعر مصطفى بن ابراهيم (1867-1800) إلى مدينة فاس المغربية، يقول في قصيدته "قلبي تفكر لوطان والهالة":

"قَلْبِي تْفَكَّرْ لَـوْطَانْ وَالهَـالَه رَانِي مَهْوّلْ مَانِّيشْ فِي حَـالِي
قَلْبِي تْخَبّلْ بَالْوَحْشْ تَخْبَالَه وَعْلاَهْ يَا مَرْوْ غْرِيبْ تَلْغَى لِي..." [3]

ويذكر بأن الشاعر «عاش ما يزيد عن خمس سنوات بعيداً عن الوطن والأهل والأصدقاء، كما يؤكد ذلك الزمن على أن هذه القصيدة كتبت في هذه الغربة التي كانت قاسية وعنيفة على وجدان الشاعر حتى تركت فيه بصمات لم تمح أبداً» [4]

ويقول أيضاً:

«خُذْ الوَادْ وْسِيرْ بَالدَّرْجَه فِي البْـطَامْ تْصِـيبْ جَـمْعْ قْبَابْ
هَـذُوك الصُّلاح مْـهَاجَه زُور الـرَّوْضَه وَانْتْشَدْ لَقْـطَابْ
قُولهم مَرْسُولْ بَالحَـاجَه مَنْ فَاسْ أَنَا جِيتْ جَبْتْ الْكْتَابْ
مَنْ عَنْدْ اللِّي رَاهْ يَـتْلاَجَـا صَفى إلى مَـنْفَى بْـــلاَ طْـلاَبْ
كَانْ يْدِيرْ عْرَاسْكَمْ فَرْجَا مَـا تْفُوتُـوش علـيه يَـالَحْبَابْ..." [5]

ويرى بولرباح عثماني بأن «شعر الحنين إلى الوطن تجسد فعلا من خلال ما ذكره مصطفى بن إبراهيم حيث أن شعره يفيض حباً للوطن الذي تعلق به، فتغنى به، وحن إليه، واشتاق لأهله، وهذا كله كان بلغة متينة، اعتمد فيها الشاعر على التصنع والتكلف في بنائها ونسجها» [6].

نَفْي الشَّاعِر محمد بلخير

محمد بلخير [7] شاعر الشيخ سيدي بوعمامة، و بعد قيام ثورة أولاد سيدي الشيخ و القبائل المنتفضة معها في 08 أفريل 1864ضد الوجود الفرنسي بالجهة كان الشاعر محمد بلخير ضمن صفوف الثائرين ولعب دورا بارزا في هذه المقاومة، فقد كان لسان حالها، وقام بدور ومهمة وسيلة الإعلام لها، وذلك من خلال فخره ببطولات الثوار و الإشادة بانتصاراتهم على الفرنسيين والرد على الخونة و القاعدين والتشنيع بهم، وإلهاب حماس الأهالي لدفعهم إلى الالتحاق بالجهاد لمقارعة

[3] ناصر صبار، مصطفى بن إبراهيم: شاعر الحنين إلى الوطن، وهران الجزائر، 2002، ص: 29.

[4] محمد بشير بويجرة، تجليات الأنا والغبن في الخطاب الشعري الشعبي محاولة في رسم معالم الذات والآخر: قلبي تفكر الأوطان نموذجاً (مقال)، مجلة إنسانيات، crasc، وهران الجزائر، ماي -ديسمبر 2002، ص: 75.

[5] ناصر صبار، مصطفى بن إبراهيم: شاعر الحنين إلى الوطن، م. س، ص: 29.

[6] بولرباح عثماني، المنفى والإحساس بالحنين إلى الوطن في الشعر الشعبي الجزائري (مقال)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي لتامنغست، مج9، ع2، 2020، ص: 236.

[7] هو محمد بلخير من قبيلة الرزيقات فرع أولاد داود، ولد حسب التقديرات ما بين 1832-1830م بوادي المالح، ضواحي عين تموشنت أي أنه ولد مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر.

المستعمر ، وظل يخوض مع رفاقه الثوار المعركة تلو الأخرى حتى توقيع عقد صلح بريزينة في 20 ماي 1883 بين زعماء الثوار والسلطات الفرنسية، لإنهاء القتال بين الطرفين، وقد رفض محمد بلخير هذا الصلح جملة وتفصيلا، وانفصل عن مخيم سي قدور بن حمزة الزعيم الرابع لثورة أولاد سيدي الشيخ، رغم محاولات إقناعه و ترضيته بشتى الوسائل، فسافر إلى المنيعة سعيا لحشد الأنصار وجمع المال والسلاح، توفي حوالي 1898م. دفن بعد وفاته في " تيغست " ضواحي بوعلام، وبعد الاستقلال نقلت رفاته إلى مقبرة الشهداء ببوعلام ليعاد دفنه فيها وقد كتب الشاعر محمد بلخير في منفاه عدة قصائد منها قصيدة "في كالفي" و"كالفي" هو اسم القلعة الموجودة بجزيرة كورسيكا التي يقول في مطلعها وهو يستنجد ويناشد شيخه بوعمامة بإنقاذه وإخراجه من هذا المنفى:

«يَـا سَـايَـلْـني لا تْـسَوَّلْ خَلِّـيني في احْـكَامْ رَبُّ الـعَالمَـينْ
نَسْتَنَّى كَـامْلْ الْخْصَـايَـلْ رَحْـلْ البَيْضَا إِمَـــامْ الصَّـالِحِـينْ
مَنْ وَحْشَة خَاطْرِي اتْهَوَّلْ وَحْشْ اوْلاَدِي وْحُبُّ سِيدِي جَاوْ اثْنِينْ
رَانِي في كَـالْـفِي مْـجَوَّلْ أَنَـا وَالشِّـيخْ بَـنْ دْوِيـنَه مَـرْهُـونِينْ»[8]

وبن دوينة هذا هو صديقه في الثورة والجهاد إلى أن يقول:

«ضَاقَتْ رُوحِي بْغِيتْ نَرْحَلْ مَـنْ بَـرُّ الـرُّومْ نَنْـتْقَلْ للمُسلِمِينْ
أَنَـــا وَاوْلاَدْ الْقْـــبَايَـــلْ رَانِي نَشْكِي عْلَى المْحَابِيسْ امْسَاكِينْ
اطْلَـبْتَكْ يَـا الله تَقْـــبَلْ بَعْدْ الضِّـيقْ اتْفَرَّجْ عْلِينَا في الْحِـينْ»[9]

وله قصيدة أخرى حول أسره بجزيرة كورسيكا بعنوان " يا سيدي عار الله" يقول في مطلعها:

رَحْـــلْ البَيْضَا للهْ حُـــرْمْتَكْ عَـــارَكْ لاَ تَنْـسَانِي جَبْنَا لِـيكْ الصُّـلاَّخْ وِيـنْ طَافُـو في كُلْ بْلاَدْ
سَرَّحْنِي يَا سِيدِي بْجَاهْ الاَعْرَجْ مُولَى بَغْدَادْ
سَرَّحْنِي يَا سِيدِي انْجِي نَشُـوفْ وَطْـنَكْ وَاوْطَـانِي وَانْسَالْ عْلَى الاَحْبَابْ كَانْ مَزَالُو جَارَكْ عَادْ[10]

إلى قوله:

يَا سِيدِي خَايَفْ لاَ نْمُوتْ في ذَا الحَبْسْ النَّصْرَانِي لاَ طْلُبَه لاَ تَـأْذِينْ لاَ صَـلاَةْ عَـنْدَه لاَ تَشْهَادْ
يَا سِيدِي عَـــارْ الله لاَ تْفُـــوتْ عْلِيَّ تَـنْسَانِـــي يَـاكْ احْـنَا مَتَّفْـقِينْ في المْحَبَّه نِـيَّه وَاجْهَادْ[11]

وقصيدته الأخرى المشهورة حول أسره التي يقول في مطلعها:

سَلاَّكْ المَغْبُونْ مَنْ وَطْنَ القِفَارْ قَـادَرْ كُـلْ غْـرِيبْ لَبْلاَدَهْ تَـدِّيهْ
سَلَّكْنِي مَا بِينْ سَدُّ اوْ سَدُّ احْجَارْ وَالمَغْبُونْ يْشُوفْ لُـوكَانْ بْعَيْنِيهْ [12]

[8] بوعلام بالسايح، أشعار الهوى والوغى لمحمد بلخير: نصوص من التراث الشعبي الجزائري، تر: نور الدين خندودي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ANEP، الجزائر، د. ط، 2007، ص: 107.

[9] نفسه.

[10] نفسه، ص: 112.

[11] بوعلام بالسايح، أشعار الهوى والوغى لمحمد بلخير: نصوص من التراث الشعبي الجزائري، م. س، ص: 112.

[12] نفسه، ص: 115.

حتى قوله:

مَا عَنْدِي طَاقَه وْلاَ بِيدِي مِقْدَارْ هَمّْ الْحَبْسْ وْزَادْ هَمّْ الضُّرّْ عْلِيه[13]

ويبدو أن الشاعر نُفي مرة أخرى أو دُفع للتهجير والترحيل إلى منطقة المنيعة، فهو يذكر في قصيدته التي يناشد فيها سكان المنيعة احتواء ثورة شيخه الشيخ بوعمامة ونصرتها:

اضْـيَافْ الله يَـا رْكَايَـزْ رْجَـالْ الدّيوَانْ كَـذَا مَـنْ شِيخْ فِي المْنِـيعَه
مُحمّد حَـــاجْتَه قْضُـــوهَـا بَلّي كَـانْ يَـــا مَـنَّاعِينْ كُـــلّْ مَنْـعَه
حَـــيّينْ وْنَـــايْمِـــينْ نَطْلَـــبْكَمْ جِـــيرَانْ صَدُّوا لَلْمْضِيفْ بَالْجْمَاعَه
يَا نَـاسْ الجُودْ وَالْجْدَا وَاهَـلْ البُرْهَـانْ غِيـــثُوني بَـــالْغْـلاَمْ فَـــزْعَه
تَلْمِـيذْ الشّـــيخْ وَاجْـــبُوني بَـالّي كَـانْ وَالـــزّايَرْ بَـــابتُه الطّـــمْعَه[14]

إلى أن يقول:

خَاطَرْ وَغْرِيبْ وَانْجْلِيتْ لْذِي الاَوْطَانْ رَانِي فِي عَـــارْكَمْ وْدِيـــعَه
وَنَـــا سِيدْ الشّـــيخْ سَـــامْ الفُـرْسَـــانْ بْجَـــاهَه امْعَـمّرْ الفَـــرْعَه
مـَا دَايَرْ فَالْـطَهْ اهْجَـرْتْ عْلَى الايمَانْ مَـاهِي سَـرْقَه وْلاَ خْـــدِيعَه
هَرّبتْ نَفْسِي مَنْ النّصَارَى وَالشّيْطَانْ وَالْغَايَبْ تْصَحْبَه الشّفْعَه[15]

نفي الشاعر عبد الله بن كريو إلى المنيعة

وقد كتب ذلك في قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها:

هَلّكْنِي تَـــرّاسْ جَـــا مَتْعَنّـِيني وِيفَتّشْ عَنْ نَسْبْتِي جَانِي سَـــوّالْ
قَالْ بْدِيتَكْ بَالسّوَالْ تْسَامَحْـنَا لاَ تَجْحَدْ شِي كُونْ صَادَقْ فِي المْقَالْ
أَنَـــا مَـنْ لَقْـــوَاطْ مَـانِشِي مَنّا بَسْـوَالَكْ هَلّكْـتْنِي زَادُوا لَعْـــلاَلْ[16]

إلى قوله:

مَانِي دَارِي نَشْتَاقْ شَوْفَه مَنْ هَلْنَا وْلاَنِي ضَـارِي نَفْرَقْ بْلاَدِي مُحَالْ
لاَنِـي قَـاتَلْ رُوح مَـنْ بَرّي نَجْـنى وْلاَني دَايَرْ سَايْسَه مَنْ وَطْني مَالْ[17]

وإن كان لكل شاعر ظروف وملابسات نفيه واغترابه عن بلدته أو وطنه.

[13] نفسه.

[14] نفسه، ص: 98.

[15] وعلام بالسايح، أشعار الهوى والوغى لمحمد بلخير: نصوص من التراث الشعبي الجزائري، م. س، ص ص: 98-99.

[16] بلقاسم خميلي، روائع الشاعر الشعبي عبد الله التخي بن كريو، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، السحاولة الجزائر، د. ت، د. ط، ص: 102.

[17] نفسه، ص: 103.

نفي الشاعر قدور بلخضر بيتور (1860-1921)

فقد قامت السلطات الفرنسية حسب ما ورد في بعض الروايات بنفي الشاعر قدور بلخضر بيتور شاعر غرداية ومتليلي الشعانبة وهو رفيق الشاعر بن طريبة وبينهما تأثر كبير في كتابة الشعر نظراً للعلاقة الوطيدة التي كانت تربطهما ببعضهما البعض.

نفي الشّاعر بلّخضر قدّور إلى السّودان

تعاظم خطر الشّاعر على العدو المحتلّ من جانب تناوله موضوعات الفتوحات الاسلامية ببلاد المغرب، وتحرير شعوبه من ربقة الغطرسة الرّومانية، شعرا وغناء، ومن جانب آخر عزوفه عن مدح القائد باعتباره خادما للمستعمر الفرنسي، فقد روى لنا الأستاذ لعمش حسين أنّ الشّاعر قدّور بلّخضر بيتور تعرّض في فترة من حياته إلى المنفى لسبع سنين من قبل أحد القادة لأنّه لم يكن من شعراء البلاط، ورغم شعوره بالوحدة والغربة إلاّ أنّه لم يستطع التّصريح بهذا الكرب تجنّبا لإثارة البلبلة في أوساط محبّيه حيث يقول متحسّرا صابرا:

« يَا فَاهَمْ مَعْنَى قَصّْتِي نَصْبَرْ انْتْجِينِي سَاعْتِي
نَرْجَى[18] لَبْطَالْ رْفَاقْتِي وْبَارَدْ لَكْتَافْ ذْلِيلْ
بلّخْضَرْ قَالْ اكْفَايْتِي وْصَبْرِي لَلْمَوْلَى رَاحْتِي
وَاحْلاَلْ الرَّزْقْ تْبَاعْتِي وْلاَ طَالْ عَمر بَخْتِيلْ[19]
مَنْ لَبْحَرْ سْقِيتْ دْوَايْتِي وْخَرّجْتْ طْوَابَعْ نَسْخْتِي
وْسَالْ العَاقَلْ يْلاَ تَفْتِي وْسَالْ اصْحَابْ التّنزِيلْ»[20]

ولم تنته محنته، وتنقطع غربته، الاّ بعد أن ترضّ القائد، وأذن له العدوّ الغاصب بالعودة، شرط إثبات حسن السلوك في زعمهم، فتبنّى سياسة الهدوء وإدراج أهدافه في قصائده بفطنة وحكمة بالغتين.

ويذكر بعض الباحثين بأن قصيدة قصة هاروتة التي قالها الشاعر إنما هو يوري بها عن السلطات الاستدمارية التي اختطفته وطلبت منه أن يرضى عنها ويتوقف عن تهديدها برواية شعره وتحفيز السكان على الثوران عليها[21]

[18] رجى: أنتظر.

[19] يختيل: من الختل، بمعنى المخادعة.

[20] خالد الشامخة، ديوان الشّاعر الشّعبي الشّعانبي قدّور بلّخضر بيتور، مخطوط، ورقة: 118.

[21] ذكر الشاعر منصور زيطة ما يلي:

لدينا في مدينة متليلي الشعانبة شاعر شعبي مشهور اسمه قدور بلخضر (1860-1921)له قصة مشهورة مع جنية لكنه لم يكن فاقدا للقدرة على الكلام: قصّة الشّاعر مع الجنيّة "هَارُوتَه"، روى لنا الشّاعر الحاج محمّد زيطة قصّة الشّاعر قدّور بلّخضر بيتور مع الجنيّة "هَارُوتَه"، الّتي أصابتها الغيرة من معشوقته مسعودة، الّتي طالما تغزّل بها في الكثير من قصائده، وذات ليلة استوقفته الجنيّة "هَارُوتَه"، مُأنّبة إيّاه، حينما كان متوجّها لإحياء حفل ليلة عرس، وبعد عراك كلاميّ شديد، كانت الغلبة فيه للشّاعرّ؛ مع اشتراطها عليه أن ينظم فيها مائة كلمة وكلمة، (مئة قصيدة وقصيدة) فأنشدها الشّاعر قصيدة بمئة كلمة وكلمة مطلعها:

سالوني كيفاه مفتي قصّة هاروتة واطلبت طلبة بغير لتّة في اهموم طوال
هذا الجنيّة بهيتة ما قالت بسوال

إنّ المتصفّح للحقبة الزّمنية الّتي عاشها الشّاعر قدّور بلّخضر (1860م-1921م)، يجدها حافلة بثورات شعبيّة عدّة، فإذا استشعرنا الرّوح الثّورية في شعره، ألفيناها طافحة طافيّة حيث كان كثير النّظم عن الفتوحات الإسلاميّة ببلاد المغرب العربيّ، ثمّ يحزمها بشعلة داعيا من خلالها إلى التّحرّر، واسترجاع الماضي المجيد، ولَكَم كان تأثّره شديدا بـ" عبد الله بن جعفر" الّذي ورد ذكره في عديد قصائده.

وإنّه دائم التّفكير في الثّورة، وقد كتب عدة قصائد يثني فيها على الشيخ سيدي بوعمامة البكر[22]، واستحضاره للمغازي والفتوحات التي قام بها الصحابة والفاتحون، وقد ربط قدور بلخضر بيتور بين الواقع الأليم الذي كان يعيشه الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار وبين الدعوة إلى الانتفاضة على الاستعمار كما فعل الصحابة والفاتحون، ومن ذلك قوله مثلا في قصيدة فتح في مدينة المروة:

"قَوْلِي عْلَى ابْطَالْ انْ رَخْسُوا لَعْمَارْ ضَـارِي لْـوِينْ هَدُّو زَنْجَارْ الـرُّومْ
وَاللِّي مَنْ بَعْدْهَمْ حُكْمْ البَاطَلْ جَارْ وَالحَقّْ غَابْ عَادْ اشْعَاعُو مَرْدُومْ
تـُوفي بْطَلْبْتِي يَـــا عَالَـمْ لَـــسْرَارْ قَـدُّورْ في حْـجَابْ الجَـنَّا مَرْحُـومْ
هُـــوَ وْخَـاوْتُو وَجْمِـيعْ الحُـــضَّارْ وَالمسْلِـــمِينْ لاَ شَـاقِي لاَ مَحْـرُومْ
بْجَـاهْ بُـوعْمَامَه قُـــطْبْ الـــزّيَّارْ وَالصَّالْحِينْ وَالهَادِي سَيّدْ القَوْمْ»[23]

وقوله في إحدى غزوات عبد الله بن جعفر:

مَايَعْمَلْ عَبْدْ الله وْصَرْبْتُو قَاعْ الرُّومْ فْنَاهْ وَهْدَاوْ الدَّمْ ايْسِيلْ عَالسّْوَاحَلْ كي سَيْلْ الوَادْ
بْدَاوْ بْشَرْحْ الـدّينْ وَالجْوَامَعْ الاَمِيرْ بْـنَاهَمْ هْـدَاوْ العِـلْمْ وَالاَذَانْ وَالصَّلاَ وَالحِزْبْ وْلَوْرَادْ
وَانَا قَوْلِي عَالتـّايْكِينْ وَعْـلاَه الحَـزّْ بْلاَهَمْ ضَارِي نُـوبَا وِيهَجْمُوا عْلَى الـــرّومْ بْلاَ تَلْبَادْ»[24]

ويقول في مطلع قصيدة "فتح سطيف":

«صلّوا عْلَى النّبي يَا حُضّارْ هْنَايَا طُولْ الدّْوَامْ مَنْ نُورُو لاَ يَطْفَا
صَلّوا عْلِيه وَارْضُوا عَلْخُلَفَا»[25]

ويتَّضِح تلهّف شاعرنا وتَوْقَه إلى أبطال يغيّرون واقع البلدة المغبون أهلها؛ تحت نير الاحتلال وسياطه الملهبة قائلا:

ترشّقت بلا حديدة واعظامي نوذة وترشّقت بلا حديدة وكسى الجسد اجلال
قالت كان الدّير وحدة تترك مسعودة وتتولع بي زيادة باش انديرك فال
قالت لي شعّار شتّى كانوا كيف أنت ونحسبهم حتّى موتى لياقاضكشي الحال

من خلال هذه الأبيات يتبيّن لنا أن الشّاعر قد أصيب بالفزع الشّديد الذي كساه، طالبا منها تركه وشأنه، لأنها سيّجت جسمه بالرّهبة والألم، وعظامه بالبرودة والهشاشة؛ إثر لقاءه بها مظهرة تعلّقها الشّديد به؛ وغيرتها من محبوبته مسعودة، طالبة منه ترك ونسيان هذه الأخيرة، ورغم كل إغراءاتها وإلحاحها إلاّ أنّه بقي وفيا لمسعودته، راضيا بعقد صلح مع الجنّية بقبوله البدء بقصيدة الجنّية في كلّ حفل.

إلاّ أنّ رأيا آخر يعلّل لهذه القصّة بأنّ الشّاعر تورّى بهذه الحادثة، ليكتم مسألة نفيه عن العامّة للمحافظة على سلامة وأمن أحبابه ومريديه.

[22] بن لخضر قدور بيتور، الدر المنثور من شعر بن لخضر قدور، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي غارداية، ط1، 2020، ص: 43.

[23] نفسه، ص: 137.

[24] بن لخضر قدور بيتور، الدر المنثور من شعر بن لخضر قدور، م. س، ص: 151.

[25] نفسه، ص: 118.

«.. شَـرْحُوا الدِّينْ وَمْنَاهَلْ كُلْ اقْرَايَا بَالصَّوْمْ وَالصّْلاَ وَآذَانْ الوَقْـفَا
قَـوْلِي عْلَى ابْطَـالْ انْ كَانُـوا لَـقّايَا يَوْمْ الطْرَادْ وَعْـدُوّهَمْ مَرْجُوفَا
وَعْـلاَهْ بَعْـدْهَمْ تَشْـعَرْ ذَا الغَـنَّايَا وَعْلاَهْ ذَا الطَّرْبْ وَاعْلاَهْ العَزْفَا
وَاعْـلاَهْ تْحَسّبُوا مَنْ جَـابَتْ ضَنَّايَا وَعْـلاَهْ جُـودْنَا بَـعْدْ النِّـيَافَا» [26]

وفي قصيدة أخرى يقول:

«بَعْـثُو قَـايَدْ مَنْ ثْرَيْـبَه وَمْنْ اللّـيل ادْعَـا بْقُرْبُو
وَكْـتَبْ عَبْدْ الله لْعَـقْبَه قَدّْ الحَرْفْ عْلَى اجْوَابُو
شَارْ بْقَوْلْ عْلَى الصَّحَابَا يَـا فُـرْسَانْ الـلاَّ تْهَـيّبُو
وَاسْيَادِي وَجّْـدُوا بْرَكْبَه بَطْنَابَرْ وَاطْبُولْ ضَرْبُو» [27]

ويقول في آخرها:

«وَابْكِي يَا عَيْنِي عْلَى مِيعَادْ انْ كَانْ مَـنْ بَعْدُو لَتْرَاكْ حَـقْرُو
تُوفِي قَصْدِي يَـا الله انْـتَ الحَـنَّانْ وَالمـدَّاحْ تْكُـونْ سَتْرُو
بَنْ لَخْضَرْ تَسْقِيه مَنْ جَنَّة رَضْوَانْ مَنْ لَظَى تَمْحِي اضْرُورُو
نَـا وَالمسْلِمِينْ وَجْـمَاعَـةْ لَخْـوَانْ يَـا غَـفَّارْ اللِّي تْغَـفْرُو» [28]

ومعلوم أنّ مجرّد ذكر بطولات القادة الكبار، تلهب النّفوس حماسة، توقا إلى المجد والعزة والفضل، وترك الخنوع والخوف، والموت والاندفاع بقوّة، للذّود عن حمى الدّين والوطن، فما بالنا إذا كان الشّاعر يصوّر ببراعةٍ الأحداث والشّخصيات، مفصّلا بدقّة متناهية الجوانب التّاريخية والنّفسية والاجتماعية، لخدمة الوعي الوطني، وذلك حتّى بعد موت الشّاعر بأكثر من عقدين، حيث أنّ الكثير ممّن كان يحضر الحفلات الّتي كان ينشد فيها شعر قدّور بلّخضر بيتور يتوجّهون مباشرة للانخراط في صفوف الثّورة التّحريرية الكبرى، وذلك لما تحويه هذه القصائد من شحذ للهمم وإلهاب لروح الجهاد في سبيل الله عن طريق حَبْكِ صور واضحة مؤثّرة من الملاحم، الّتي خاضها الأسلاف لإعلاء كلمة الله تعالى والدّعوة للتّحرّر.

وقد اهتم الشاعر الشيخ قدور بلخضر بيتور بشعر المغازي الذي استحضر من خلاله بطولات الصحابة وفتوحاتهم من أجل نشر الإسلام والدفاع عن بلاد المسلمين، استحضرها حتى يدفع المجاهدين في الجزائر للدفاع عن وطنهم وتحريره اقتداء بأسلافهم من الصحابة[29]. لذلك كتب عدة قصائد حول الفتوحات منها: فتح تونس، فتح المهدية، غزوة سوسة، فتح تبسة، فتح سطيف، فتح مدينة المروة، غزوة ورقة، قصيدة الجدار، فتح مدينة فاس، فتح مراكش، راس الغول، فتح تلمسان، قصيدة الهضام، فتح مدينة وجدة...

[26] بن لخضر قدور بيتور، الدر المنثور من شعر بن لخضر قدور، م. س، ص: 125.

[27] نفسه، ص: 174.

[28] نفسه، ص: 175.

[29] أنظر في ذلك: عاشور سرقمة، المغازي في الشعر الشعبي عند شعراء الجنوب الجزائري، مجلة الفنون الشعبية، المملكة الأردنية الهاشمية، وزارة الثقافة، ع/24، 2018، ص: 26 وما بعدها.

يُعدّ الشّاعر بلّخضر قدّور بيتور من الطّبقة المثقّفة في عصره، إذ كان ينهل من أمّهات الكتب المتوفّرة في تلك الحقبة الزّمنية، وامتاز شعره بقدرة عجيبة في قراءاته لغزوات فتح الشّمال الإفريقي، على يد أبطال أشاوس كعقبة بن نافع وعبد الله بن أبي السّرح، وكان في الجيش «عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزّبير وعبد الله بن جعفر والحسن والحسين ابنا علي (رضي الله عنهم) أجمعين لذلك سمّي هذا الجيش: جيش العبادلة...» [30]. وتحويل هذه القراءات إلى ملاحم مصوّرة تصويرا دقيقا، فهو بمثابة المخرج السّينمائي الّذي يجمع شتات عناصر القصّة في سبك عجيب، ثمّ يحيل إلى مقارنة واقع قومه ودولتهم بما قدّمه الأسلاف من تضحيات جسام في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وحرية الإنسان على ظهر هذه البسيطة، داعيا إلى الانتفاض بأسلوب يخاطب الرّوح دون ضوضاء أو ضجيج.

وللشاعر قدور بلخضر بيتور قصيدة مؤثرة في رثاء الشيخ سيدي بوعمامة، يصف فيها كيف وصلهم خبر وفاته، والذي وقع عليهم كالصاعقة، وحزن عليه جميع أفراد عرش الشعانبة، يقول:

عَظَّمْ لَجَـرْ عْلَى بْكَاكَـمْ يَـا لَخْوَانْ وَعْلَى بَلْخَصْلاَتْ دِيمَا
غَيَّبْ قُطْبْ الدَّايْرَه مَعْدَنْ لَكْوَانْ مُولَى الـبَرَكَه وْهَـمّه[31]

إلى قوله:

قَصـّـة اوْفَاتُــو اعْجَايَبْ يَوْمْ انْ وَصْلَتْنَا اخْبَارُو
وَاحْزَنْ عَنُّو عَرْشْ شَعْنَبْ مَنْ طَيبْ الحَلْوَه مْرَارُو

ويذكر مآثر ومفاخر شيخه وجهاده وقتاله للكفار:

حُزْنِي عَنْ شَيْخِي الـرَّايَسْ مَنْ كَانْ غْطَانَا جْنَاحُـو
للصّــدِيقْ ابْـنُورْ خَـالَصْ مَـنْ بِيهْ الـزَّيَّارْ رَبْــحُو
بَامْرُ ويَسْهَلْ كُـلّْ وَاعَـصْ وْيَهْمَدْ مَـنْ نَـاضْ رَبْحُو
عَنْ سِيرَةْ لَقْـطَابْ حَـارَسْ ضَـاوِي عَلَّـنْوَارْ وَضْحُو
في جَيْشْ الكُفْرَه ايْفَلْعَصْ مَنْ حَرْبُو لَصْلاَبْ طَاحُو[32]

إلى قوله:

وَانَا سِيدِي وِينْ دَبَّابْ الدَّهْشَانْ مَـا يَهْدَى مَحْـقُّورْ دِيمَا
خَلاَّ اشْـوَايَعْ بَـايْنِينْ افْلاَنْ افْلاَنْ وَاصْوَارْ البُلْدَانْ هَدْمَه
سَوَّلْـني مَـا دَارْ فَلْـغَرْبْ المْـحَانْ دَكّْ الـرُّومْ بْلاَ اخْـدَامَا
مُولاَ عَشْرْ مْيَاتْ رَوْحَانِي وَالـجَانْ خَـدَّامْ عْلَى غِيرُو هَـمَّه[33]

وله قصيدة أخرى يمدح فيها أولاد سيدي الشيخ ويذكر مكارمهم وبطولاتهم، يقول في طالعها:

رَانِي حَايَرْ سَوَّالْ وِينْ دُوكْ الرّْجَالْ وَالقَلْبْ اكْثَرْ تَشْقَابُو
زَيْنِينْ العَلْفَه قَابُو

[30] ينظر: محمد عمر الدّعة ومؤلفون معه، سلسلة الأبطال، المجلد 7، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص:256.

[31] الدر المنثور، ص: 250.

[32] بن لخضر قدور بيتور، الدر المنثور من شعر بن لخضر قدور، م. س، ص: 251.

[33] نفسه

رَانِي حَايَرْ سَـوَّالْ حَالْـتِي لاَ تْسَالْ وَبْكَايَا مَنْ لَنْجَالْ سَاخْفِينْ دْمُوعُ
عَنِّي قَابُو لَبْطَالْ وِينْ دُوكْ اشْبَالْ وِيلاَ عَـادْ زَلْزَالْ ايْخَرْجُو كِي سْبُوع[34]

نفي الشاعر عبد الحميد عبابسة[35] وسجنه:

للشاعر قصيدة يتحدث فيها عن سجنه في مدينة مكناس المغربية بسبب أشعاره الثورة، يقول في مطلع هذه القصيدة التي عنونها بـ" سجني في مكناس":

«نَحْكِي بَحُـزْنِي يَـا نَـاسْ صْغِـيرْ وْذُقْـتْ لْمْـرَارْ
سَجْـنُونِي فِي بَلْـدَةْ مَكْـنَاسْ فِي المغْـرب غـْرِيبْ مَحْـتَارْ
فِي جْـوَانْ سَـتَّه وَثْـلاَثِـينْ تَـارِيخَـه فِي قَلْـبِي حُـزِينْ
سَجْـنُونِي المسْتَعْـمِرِيـنْ عْلَى الأغَـانِي وَالأَشْـعَارْ
بَـالأَغَـانِـي الـوَطَـنِيّه انْقِيسْ بِيهَا الْقْلُوبْ الحِسّيَه
نَعْطِي فِي الصُّورَه الحَقِيقِيّه مَـا عْـمَلْ فِـينَا الإِسْتِعْمَارْ»[36]

ويذكر بعد ذلك بأنه تعرض لأشد أنواع العذاب، حتى فقد عينه اليمنى، ولكنه قابل كل ذلك العذاب بالصمود والصبر، لأنه يفكر دائماً في وطنه، ويأمل بأن يستقل يوماً، يقول:

«عْلَى وَطْنِي دَايْماً انْخَمَّمْ نَتْمَنّى فِي عِـيشَة الاَحْـرَارْ
انْغَنِّي وَنْقُولْ فِي انْشَادِي انْ شَاءْ الله تَتْحَرَّرْ بْـلاَدِي
بْكُلّْ افْـرَاحِي وَاسْعَادِي نَمْحِـيو الفَـضحْ وَالـعَارْ
مَنْ سِجْـنِي يَـا اخْـوَانْ حَكْمُـوا عْلِـيَّا بَالـنّفْيَانْ
رَبْطُـوا يَـدِّيَـا العَـدْيَانْ جَابُونِي الشُّرْطَه فِي القِطَارْ
هَـذَا الكُلّْ اللِّي عَـدّيتَه انْ شَـاءْ الله بَـالإِنْـتِصَارْ
انْتِصَارْ الجَزَائِرْ يَتْحَقَّقْ بَالتَّضْحِيّه يَنْتَصَرْ الحَقّْ
مَحَبَّةْ الـوْطَنْ تَتْـدَفَّقْ فِي قْلُوبْ المُخْلِصِينْ الاَحْرَارْ»[37]

ويذكر الشاعر عبد الحميد عبابسة بأنه سُجن عدة مرات بسبب قصائده وأغانيه الثورية ومنها قصيدة 8 ماي التي سجن بسببها في باريس سنة 1946[38].

وهذا الشعور بالحنين إلى الوطن ورفض الاغتراب سواء كان داخل الوطن أو خارجه نجده عند شعراء شعبيين جزائريين آخرين من الجنوب الجزائري منهم الشاعر علي بن أحمد بن الحرمة والشاعر الهادي جاب الله والشاعر محمد كركبان

---

[34] نفسه، ص: 43.

[35] عبابسة عبد المجيد، الملقب بعبد الحميد، ولد في بلدة بريكة ولاية الأوراس يوم 15 ديسمبر 1918، كبر في بريكة ثم توجه مع والده إلى بسكرة ثم إلى باتنة ثم قسنطينة واستقر أخيراً بالجزائر العاصمة، توفي يوم 15 ماي 1998 عن عمر 79 سنة رحمه الله.

[36] عبد الحميد عبابسة، الدر المكنون في الشعر الملحون، موفم للنشر، الجزائر، 1996، د. ط، ص: 114.

[37] نفسه، ص ص: 114-115.

[38] ينظر، نفسه، ص:1. (المقدمة).

والشاعر شهرة بلخير[39] وغيرهم كثير، ودوافع هذا الشعور مختلفة ومتنوعة ولعل أهمها هو النفي والإبعاد عن الوطن والأهل من طرف السلطات الاستعمارية.

ولأن الاستعمار الصليبي الكافر مِلَّة واحدة، كما كان معتقدا آنذاك، فقد استَحضر بعض الشّعراء في نُصوصهم الشّعرية الشّعبية قصص غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه، وقصص المعارك التي خاضها المُسلمون بعده للدِّفاع عن أوطانهم وإعلاء كلمة الحقّ، خاصةً قصص "الفُتوحات" و"المغازي" التي خاضها الفاتحون، وذلك من أجل شَحذ الهمم وبَعث فكرة النّضال والتّحرر من جديد، دُون أن يَنسوا أيضاً قضيّة المسلمين المحورية وهي القضيّة الفلسطينيّة، التي كان لها أيضاً نصيبٌ مهمٌّ في أشعارهم الشّعبية الملحونة الصُّوفية النِّضاليَّة والتَّحرريَّة.

وكأني أتصور هذا في قول شاعر الثورة التحريرية مفدي زكرياء (1908-1977) حينما تحدث عن شهر "نوفمبر" شهر البطولات يقول عنه:

«نُوفَمْبرُ غيَّرتَ مَجْرَى الحَيَاة وَكُنْتَ نُـوفَمْبَرُ مَطْلَعَ فَـجْرِ
وَذَكَّرْتَـنَا في الجَـزَائِرِ بَـدْرَا فَقُمْنَا نُضَاهِي صَحَابَةَ بَدْرِ»[40]

فقد كتب الشاعر الشيخ سيدي أحمد بن الحرمة عدة قصائد في المغازي والفتوحات والبطولات، التي كانت تستحضر من أجل شحذ الهمم ودعوة الناس للجهاد وقتال الاستعمار والتحرر من قيوده، ومن تلك القصائد:

قَصَّة لَصْحَابْ يومْ خَرجُوا للكُفَّار سَتّين الـف من تْرَاب المَدِينا
فيهم عُـقبه المِـير سَبَّقْ شَـاوْ انْهَارْ في حُرمة صَاحْبُو الهَادي نَابِينَا[41]

وأيضا أخرى يقول في مطلعها:

صَلُّوا عْلَى الهَاشْمِي زِيـنْ اللَّـبْسَا مُحمّد وَارضُوا عْلَى العَشْرَه لَعْيَانْ

يشير إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ← حَيْدَرْ مَنُّو خَايْفِين أَرْبَعَة ارْكَانْ[42]

وأخرى افتتحها بقوله:

صَلُّوا عْلَى النَّبِي مُحمَّدْ يَا نَاسْ وَارْضُوا عْلَى اصْحَابُو جَمْعْ العَشْره
بُوبكـر وْعُمَر لَجْـوَادْ الـرِّيَّاس عُثْـــمان وْعَلِي دَمَّـــارْ الكَـــفْرَه
فَتْحُوا امْعَاهْ مَكَّه بَعْدْ الهِجْرَه
ارْضُوا عْلَى الْفْرَاسِين اللِّي كِـيَّاس أبْطَال جَيْشْ عُقبَة قَوْمَ النُّصْره[43]
فِيهَم اشْبَابْ يَدْخَلْ وَسْطْ المْرْدَاسْ مَـوْتْ الجِهادْ عَنْدُو رَبْـحْ تْجَـارَهْ
مَـــنَّادْ في مْحَلَّى بَـــاعُـــو لَـــنْفَاسْ قِطْرَانْ لَلعْـدُو حَـدْجَـــه وَامْرَارَه

[39] بولرباح عثماني، المنفى والإحساس بالحنين إلى الوطن في الشعر الشعبي الجزائري (مقال)، م. س، ص: 229 وما بعدها.

[40] مفدي زكرياء. إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، د. ط، ص: 69.

[41] ديوان الشاعر الفحل الشيخ أحمد بن الحرمة البرياني (1835م – 1924م)، جمع وتأليف: مطلق عمار بن الحاج سعد، د. د. ن، د. ط، د. ت، ص: 218.

[42] نفسه، ص: 231.

[43] نفسه، ص: 207.

بَــاعُوا نْفُوسْهَمْ للــمَوْلَى خَلاَّصْ تَبْعُوا طْرِيقَة احْـمَدْ بَابَا الـزَّهْرَه

والشيخ سيدي أحمد بن الحرمة كغيره من الشعراء كانوا يرون في أيام تلك الفتوحات والمغازي أيام زمن النصرة والغلبة للإسلام والمسلمين، ولذلك كانوا يحنون لعودة أولئك الفاتحين لتخليص البلاد مما هي فيه من استدمار، يقول الشيخ سيدي أحمد بن الحرمة:

مناد انْحَشْمُو بَنْشَادي عَنِّي ايفرج الغم
يا من درا ايجيني ضاوي للباس يَطْبَعْ ابْطَابْعُو لِيَّا بَالمارة
من بُومناد ما نَقْطَعْشِي لِيَّاس حُبُّو قديم في قلبي مَا يَبْرَا

ثم يذكر في الأخير رغبته في الخروج والخلاص من أسر الكفار الذي هو فيه فيقول:

حَالي سْقيمْ كَثْرُوا عَنِّي لَهْـوَاسْ جَـارْ الْعْـدُو مَـا صَبْنَا لُـو قُدره
غِيثو خْدِيمكم يا جَمْعْ الخُلاص نِيفُوا على ابن الحرمه فالحُفْرة
راني بْحَالْ طير وْدَاخَلْ لَقْفَاص مَسْـجُون في بْـلاَدْ انتَاعَتْ كَـفْرَه
إِيْشَرْفُو ايْهُوده من حَبْ الـرَّاسْ وايْعَظْمُوا الصُّلبان مْعَ الحَجْره
واغْفَرْ ذْنُوبْنَا يَـا خَـالَقْ لَنْفَاسْ أَهْلِـي وَوَالـدِيّه والـلّي حَـضْرَه

ونورد هنا شاعراً آخر من شعراء متليلي الذين تناولوا موضوع الثورة التحريرية في أشعارهم هو الشّاعر الحاج محمّد زيطة، الذي ولد بمتليلي الشّعانبة سنة 1929، حيث كانت أسرته كغيرها من أهل البادية تعتمد في حياتها اليومية على الحلّ والتّرحال، التحق بالكُتّاب عند الشّيخ الطّالب معطالله عبد القادر، فحفظ جزء ياسين، وشيئا من الفقه، وذلك لأنّه كان يزاول التّحصيل أثناء الحلّ وينقطع عنه أثناء التّرحال. وفي عام 1950 استقرّت أسرته بمتليلي، وبدأ العمل بغرداية، ومنه اتّصل بالشّيخين: بيتور محمّد بن الشّيخ وابن ناجم جلّول، اللّذيْن كانا يحفظان شعر الشّاعر قدّور بلّخضر بيتور.

وبذلك صار شاعرا ينظُم القصائد الوطنية والثّورية وغيرها، صاقلا قريحته بما حفظه من شعر سابقيه وخاصّة شعر قدّور بلّخضر بيتور. يغلب على شعر الحاج محمّد زيطة النّزعة الثّورية والوطنية، متأثّرا بما عاينه وشاهده من ويلات الاحتلال الفرنسي، فنجده يفصّل حادثة حصار مدينته متليلي في 20 سبتمبر 1960، الّذي أمر فيه القادة الفرنسيون بقَنْبَلة المدينة، إلاّ أنّ الطّائرة المُقَنْبِلَةَ احترقت مباشرة لحظة استوائها في الجوّ، فاعترف العدوّ أنّ المنطقة محروسة بقِوى خفية، فعدل عن محاولته حرقها مكتفيا بتنكيل أهلها، وحصار المدينة، وحشد المواطنين في العراء لمدة أربعة أيّام دون أكل أو شرب[44]، فيقول:

«بَاقي نْعِيدْ عْلِيكَم قَصّة يَـا سَــامْعِـين وَاتْصَنْتُو نَشْدَتْهَا يَا لَخْوَانْ
قَصّة مْتَوْرخَه في هَذَا الْوَطَانْ
قَصّه مْتَـوْرْخَه في عَــامْ السَّتّيـنْ صَارَتْ بَشْعب مَتْلِيلِي شَافْ امْحَانْ
حَشْـدَتْ فَرَانْسَا قَوّتها مْتْحَرّْبِين بَاسْلاَحْ وَعْسَاكَرْ نَعْتْ الجَرْدَانْ
حَلْفَتْ ايْمِينْهَا تَحْرَقْ مَتْلِيلي ادْخِينْ كي جَاتْ للْحْدَادَه بَانْ البُرْهَانْ
حَاكَمْ يْقُودْ فِيهمْ لَخْبَارُو طَايْعِـينْ وَارْكَبْ طَايْرَه فَرَّتْ بَالْجَنْحَانْ

[44] أنظر تفاصيل هذه الحادثة الأليمة مثلاً في كتاب: سليمان بوغلابة، حصار 20 نوفمبر 1960م لقلعة المقاومة ومهد الثورة متليلي الشعانبة، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي غرداية، ط1، 2015، ص: 83 وما بعدها.

كي جَاتْ وَاعْدَه مَتْلِيلي طَاحَتْ بْجِينْ حَرْقَتْ الطّايرة شَعْلَتْ بَالنّيرانْ
جَمْلُو الشّعب في البَطْحَا[45] كُلّْ مْخَلّْطِينْ رِيجَالْ وَنْسَا وَشْيُوخْ وْصَبْيَانْ
رَبْعْ ايّامْ عَادُوا في غَبْنَه دَاهْشِينْ بَالجُوعْ وَالْعْطَشْ صَوْمْ بْلاَ رَمْضَانْ» [46]

وفي ذكرى اندلاع الثّورة التّحريرية المجيدة، أنشد الشّاعر قائلاً:

«نَبْدَا قَوْلِي يَانَاسْ شَهْرْ الدّكْرَى هُوَ السّاسْ نُوفمْبَر يَا قْيَاسْ نْحَيُو ذِكْرُو يَا فَاهْمِينْ
دَرْنَا لِيه احْتِفَالْ مَنْ عَامْ لْعَـامْ إلاّ تْسَالْ بْفَضْلْ ذُوكْ الرّجَالْ قَامُوهَا في سَبْعَا اسْنِينْ
قَامُوا بَاحْدِيدْ اسْلاَحْ في وَقْتْ الثّورة يَا مْلاَحْ هُمَا نَاسْ الكِفَاحْ خَرْجُو لِيهَا مَتْجَنْدِينْ
وَقْتْ الثّورَه دَعّاس يْقُودُوه أبْطَالْ رْصَاصْ رَفْدُو عَنّو لَلبَاسْ كَسْوَه وْمُونَا وَالْعْوِينْ»[47]

أما في المنيعة فقد كانت الثورة التحريرية أيضاً حاضرة في أشعار شعرائها الشعبيين، وسنورد فيما يلي بعض النماذج من خلال شعرائها ومنهم الشاعر (شبير جلول بن ابراهيم بن إبراهيم)، ولد سنة (1920م) في مدينة المنيعة، من أسرة متوسطة الحال، تعيش حياة الترحال من مكان إلى مكان في صحراء المنطقة، والده الشاعر (ابراهيم بن براهيم) الذي لا يستطيع الحياة من دون الشعر، ووالدته هي مسعودة، استمرت حياة الترحال والرعي وتتبع مساقط الغيث حتى فترة (1945م)، وبعدها استقرت العائلة في المنيعة. درس الشاعر في مسجد المدينة القرآن الكريم والسنة النبوية وبعض المدائح الدينية كالبردة، إلى جانب ذلك درس بعضا من اللغة العربية.

توفيت زوجته سنة (2003)، لم يستطع الالتحاق بالثوار والمجاهدين لأنه المعيل الوحيد لأسرته، خصوصا بعد وفاة والده سنة (1948م) ولم يمنعه ذلك من أن يشارك ببعض الأعمال كإيصال المئونة والسلاح للمجاهدين، ويوافيهم بالأخبار[48].

وبما أن الشاعر عايش الحرب والثورة، فقد جادت قريحته بمدح الثورة، خاصة ثورة (الشيخ بوعمامة) وأصحابه، فقد تغنى بخصالهم وشجاعتهم في كثير من قصائده، والتي نذكر منها (قلبي بهلول في هوى بوسبع قباب)، يبدأ القصيدة بحارسة يذكر فيها مدى حزنه على رحيل أولاد بن الدين:

«قَلْبِي بَهْلُولْ في هْوَى بُوسْبَعْ قْبَابْ اللّيلْ مْعَ النْهَارْ كَاثَرْ تَنْهَاتُو
رَحْلْ البَيْضَه بْعِيدْ هُوَ وَاوْلاَدُو»[49]

ثم يواصل ذكر حزنه على فراقهم وانتظاره عودتهم دون جدوى:

«مَا نَرْقَدْ مَالنَّوْمْ طَابُـو لِي لَجْـنَابْ مَنْ هَمّْ الي هْدَاوْ جْوَابْيَا يَقْدُو
نْظَلّْ نْطَلّْ فَالْهْـوَا دِيـمَا لَـــوْلاَبْ وَنْدَنّْـقْ كُـلّْ يَوْمْ طَوّلْ تِيعَادُو
رَحْلْ البَيْضَه اللّي تْعَانِي لُـو لَرْكَابْ مَـنْ كُـلّْ بْـلاَدْ كُلّْهَا رَافَـدْ زَادُو

[45] البطحا: من البطحاء وهي حيّ من أحياء مدينة متليلي.

[46] لقاء مع الشّاعر الحاج محمّد زيطة بتاريخ: 11ديسمبر 2008.

[47] نفسه.

[48] مخطوط قصائد الشاعر وحياته.

[49] مخطوط قصائد الشاعر، بحوزتنا نسخة منه، ورقة: 25.

بـاقِي هَبَّه شْـوَارْهَمْ تَبْرَا لَعْـطَابْ يَتْطَرَّحْ خَاطْرِي مْجَالَسْ مِيعَادُو»[50]

ثم يستذكر خصال أولاد بن الدين وشجاعتهم وإيمانهم الكبير:

«فِي وَاذْ ارْبَـا مْبِيحَا قَـدَّاشْ بَـابْ عَـزّْ اللّي قَـاصْدِيـنْ يُوفِي مِيـرَادُو
خَلاَّوْ لَـوْطَانْ عَامْرَا بَطْيُورْ ضْبَابْ بَمْخَـالَبْ يَقَـلْعُو القَـلْبْ إلا هَـدُو
أُولاَدْ بَنْ الدِّينْ حَسْهَمْ فِي كُلّْ تْرَابْ بَـرَكَه وَالـنُّورْ وَالـنَّصْرْ قْـبَلْ زَادُو
بَكـرْ بَـنْ الـدِّينْ رَايَسْ لَصْـحَابْ حْبِيبْ الهَاشْمِي أحْمَدْ عَنْدْ اوْسَادُو
يَا حَـوْجِي مَا يْعَدّْلُو يَـوْمَ تَصْعَابْ رَاهْ الـتَّارِيـخْ فِي المْـجَالَسْ يَتْعَـدُّو»[51]

ثم يعود في آخر القصيدة إلى استذكار خصال أولاد الشيخ بوعمامة ويتوعد من يحاول أن يتعدى عليهم:

«أُولاَدْ الشِّيخْ بُـوعْمَامَه يَـاللـقَابْ قُولُـو لَلْـغَالْطِينْ بَـالاَكْ تَتْعَدُّو
يَا وَيْحْ اللِّي اوْطَا عْلَى رَاسْ المَشْهَابْ كِـيَّاتُو نَاطْـفِينْ بَـعْدْ اللِّي بَـرْدُو
النَّـجْعْ اللِّي شْـوَايْعُو فِي كُلّْ تْـرَابْ مَـنْ جَدّْ لْجَـدّْ كُـلّْ طَـاوِي بَقْرَادُو»[52]

ويشيد الشاعر في إحدى قصائده بدور الجمال أو البعير في المعارك أثناء الثورة التحريرية فيقول في قصيدة (هدف لي تفكير في هموم البعير) فيقول:

«سَـوَّلْنِي وَاشْ يْدِيـرْ فِي نْهَارْ النّْـفِيرْ رَاهْ الـتَّارِيخْ اقْـبَالُـو
يَوْمْ نَاضْ الوَكْوَاكْ[53]فِي نْهَارْ الْعْرَاكْ قَطَّعْ قَـيْدُو و عْقَالُـو
هَـذَا بَابُـورْ الـبَرّْ فِي لَـيَالِي يْـقَـرَ مُولاَه قْصَبْ تِيجَالُـو
رَافَـدْ ثَلْثْ قْـنَاطَرْ قْلِيلْ هَـذَا الْعْـبَرْ ذْرْعِيهْ يْرَوّقْ يْشَالُـو
الأَرْضْ مْقَاطَعْ كَتَّانْ بَالْحْفَى وَاللّْيَانْ[54] يَعْـبَرْهَا كي تَهْـوَالُـو»[55]

ويذكر مشاركته في توصيل المئونة للجيش والمجاهدين فيقول:

«مَا يَرْفَدْشْ البُكْرَا مْعَمَّدْ عْلَى الـسّْرَا وَنْجُومْ المَغْرَبْ حَـالُو
بِيهْ فْرَاسِينْ اللَّوْمْ يْخَبّْرُو عْلَى النّْجُومْ وَالصَبْحْ يْحَطّْ اتْقَالُو
وَاعَـدْ جَيْشْ العَمْدَه مْـرَاكَزْ مْقَيّْدَه يُوصَلْ لَلْجَيْشْ أَنْوَالُو»[56]

ويشيد الشاعر بجيش التحرير الذي لا يهاب ولا يخاف من المستعمر؛ والذي ضحى بالنفس والنفيس من أجل تحرير الوطن فيقول:

---

[50] نفسه.

[51] مخطوط قصائد الشاعر، بحوزتنا نسخة منه، ورقة: 25.

[52] نفسه.

[53] الوكواك: المنادي الذي نادى في ليلة أول نوفمبر.

[54] الحفى والليان: الحجارة والرمال.

[55] مخطوط قصائد الشاعر، بحوزتنا نسخة منه، ورقة: 26

[56] نفسه.

«الجَيْشْ اللِّي يَقْسَاحْ[57] يَوْمْ هَمْسْ السْلاَحْ قَطَّعْ لَلْكُفْرْ احْـبَالُو
جَــابُــو مَلْــحْ البُلْــدَانْ لَــدْزَايَرْ تْـبَانْ فَـتَّحْ ذَا الوَطْنْ قْدَالُو
عَــنْهَا بَلْــيُونْ وْنَصْ مَــاتْ هَــاذْ الدَّس فِي طَوبة[58] ثَم احْتَالُو
نَشْكَـرْ رَاجَــلْ وَبْعِـيرْ وَالمْــرَا وَالصْــغِير كُلْ ضَـمِير بْمَشْــعَالُو»[59]

ويصف البعير بأنه مثل التلغراف يوصل الأخبار، وبأنه يشبه طائر القطا فيقول:

«هُـو مَا عَزْ الرَّكْبَه تْقَرَّبْ الصَّاعْبَه يَفْتُو للـرَّايْ خْـبَالُو
يَسَّمَّى تِلِــغْرَامْ فِي لَــيَالِي ظْــلاَمْ جَابْ أَخْبَارْ اللِّي قَالُو
ارْوَاحْ مْنِينْ تْغِيرْ شَابْ رَاسْ الصْغِيرْ فَـرْقْ قْطَا كِي يَتْوَالُو»[60]

والشاعر شبير جلول أيضاً كتب في شعر المغازي حيث كتب قصيدة طويلة يستحضر فيها انتصارات الصحابة والفاتحين على الكفار ولعله هو أيضاً بذلك يذكر المجاهدين في الثورة التحريرية بانتصارات الذين سبقوهم في الدفاع عن الإسلام والأوطان، ومما تناوله فيها نجد غزوات الفاتح (عقبة بن نافع) و(عبد الله بن جعفر) و(الزبير) و(رافع) وغيرهم من الصحابة، وهذه القصيدة هي (مقوا عيني تبكي على اللي طال شناه دايم).بحكم أنهم من فاتحي شمال إفريقيا، فقد أصبحوا قدوة للمسلمين، وتناقلت سيرتهم وأخبارهم من طرف الرواة من عهد إلى عهد، فجادت قرائح الشعراء بتمجيد غزواتهم في أشعارهم.

وفي بداية القصيدة يحكي أخبار مناد (عقبة بن نافع) ويعظم شأنه:

«مَقْوَا عَيْنِي تَبْكِي عْلَى اللِّي طَـالْ شْــنَاهْ دَايَـمْ أَهْـلْ البَرَكَه وَالنُّـور وَالنَّصْرْ فَـتْحُو كُلْ بْلاَدْ
هَاتْ خْبَرْ الغَزَوَاتْ وَاشْ دَارْ الطَّاوِي مَنَّادْ
هَــاتْ خْبَرْ الغَزَوَاتْ مَـا يْعَـدَّلْ مَــنَّادْ الـقَايَمْ عْلَى صَرْبَةْ لَـبْطَالْ وِيــنْ حَتْلَتْ ذَاكْ المـيعَادْ
بَنْ مَخْــزوم نــقَارْ للــطلُوب نْهَــارْ تَتْــلاَيَمْ وَابْن هَاشَم الاَحْرَارْ يَا حْجَابْ الجَيْشَ العِمَادْ
أَهْلْ الحَالْ المنْقُودْ وَاهَلْ سَطْلاَ وَالدَّقْ العَاظَمْ وَاهَلْ عَوَالِي وَسْيُوفْ يْقَسْمُو حَجْرْ الصَّمْ زْنَادْ
أهْـلْ سْروج المـدْقُور كل فَـارس بالعَـدّه قَايَمْ وَاهَـلْ رْكَـابَـاتْ مْنِينْ يَتْقْبُوا كِي الـبَدْرْ الوَقَّـادْ
سَوَّلْـني وَاشْ طْـرَا نْعِـيدْ عَـنَّكْ قَصّه يَا فَاهَمْ وْيَـوْمْ فَتْحُوا لَجْـدَارْ وَاشْ دَارُوا صَـرْبَة لَسْـيَادْ
قَصَّه مَنْهَا شَــابْ لَغْــرَابْ وَتْهَزْ قْلُــوبْ الــبَاكَمْ وَتْهُــون الــدَّنْيَا الفَانْــيَا ويَـبْكُو مَنْهَا الآَتْـمَادْ»[61]

ثم يشرع بعد ذلك في سرد القصة، ويصف حالة الجيشين المسلم والكافر، واستعدادهم للحرب، واستهانة ملك الروم بمناد وبجيش المسلمين:

«يَاسَيد لْحَقْ بَعْسَاكُرُو وَقْدَاوْ بَنْدَه للرْحُولْ
جَابْ عْلاَمَاتْ يْسِـيرُو بَزْهِيرْ قْوَايْطُوالطْبُول

[57] يقساح : شجاع ولا يهاب المخاطر.

[58] طوبة: التراب.

[59] مخطوط قصائد الشاعر، بحوزتنا نسخة منه، ورقة: 27

[60] نفسه.

[61] نفسه، ص: 55.

الكَافَــرْ زَادْ طْنَابْرُو وَجَّـدْ عْمَالُو وَالْعْــقُولْ
قَاللهَمْ وَاشْ انْدِبرُو لاَهْ عْرَبَّبْ عْلِينَا تْصَوَّلْ
احْنَا فُـرسَانْ نْسَتْرُو تَسْمَعْ بِينَا قَاعْ التْلُولْ
لاَزَمْ مَــــنَّادْ نْسِيرو وَنْكَتَّفْ عُقْـبَه بَالْغْلُولْ
صَرْبَةْ لَبْطَالْ تْشَهْرُو سَاوَا وَالعَدَّه عْلَى الْخْيُولْ
قَالْ احْنَا لاَزَمْ نَـامْرُو بَاهِي الخَصْلَه قَبْلْ الرَّسُولْ» [62]

وبعدما اشتدت الحرب بين الجيشين أظهر المسلمون شجاعة وبسالة، من أجل الدين والشهادة، وظفروا بانتصار عظيم ومنوا الكفار هزيمة نكراء:

«طَعْـنُو بَسْيُوف يْبَيْدْرُو وَبْـلاَوْ الكَـــفْرَه بَـالْعْـلُولْ
عَـادُو فَالرّيُوسْ يْطَـيّْرُو حَصْدُوهَمْ كِي حَصْدْ السّْبُولْ
سَوَّلْنِي عْلَى لَصْحَابْ وَاشْ دَارُو بَالجَيْشْ الحَاطَمْ وْخَلاَّوْ مَنْ المْسَنّْدِين بَثْلاَثِين أَلْفْ عْدَادْ
عُقْبَانْ عْلَى لَـرْعَالْ هَـوّْدُوا وَقْـدَا الرّيشْ قْسَايَمْ فَزُّو وَقْدَرْهَم بَانْ حَالْ بِهَم رَحْلُو لَهْدَادْ»

ويتوعد الملك برد الكيل للمسلمين، وتشتيتهم فأغار عليهم في منتصف الليل وهم نيام، وقتل من قتل، لكن (عبد الله بن جعفر) يخفف عن المسلمين ويذكرهم بأن الله لن ينساهم وأن ما حدث مقدر ومكتوب لا مهرب منه:

«حَتى فِي نَصّ اللّيل طَاحْ عْلِيهَمْ بَجْنُودْ زَادَمْ مَعْظَمْهَا عْلَى لَصْحَابْ عْلَى بِيهَم فِي وَقْتْ رْقَادْ
نْزَلْ عْلِيهَمْ بَسْيُوفْ لَعْـوَالِي وَالـدّقْ العَاظَمْ وْتَسْمَعْ غِيرْ النّسْـوَانْ بَالـبْكَا وْضَــجّة الاَوْلاَدْ
تْجَـمّْلُو عْلَى الاَمِــيرْ بَالْقْـبَايَلْ وْلانْ تَتايَـم وْقَـاللهم عَـبْد الله الــيَوْمْ هَـاذَا رَبي مَــا رَادْ
كَانْ احْـنَا حَيّين نْخَلفُو نَقْمَة كُـلّْ قَـــايَمْ وعَشْرَه بْعَشْرَه وَزْنَاتْ وَالْحْدِيثْ خَبْرُو يَـنْعَادْ»

ومن شعراء المنيعة أيضاً الذين احتفوا بالثورة التحريرية ومقاومة الشعب الجزائري للمستدمر الفرنسي نجد الشاعر الشيخ مسعودي رحمه الله الذي يقول في إحدى قصائده:

«الشُّهَدَا رَفْعُوا لَلدّْزَايَرْ سُمْعَتْهَا بَعْد قَرْنْ وثلاثين زَايَدْ عَامَين اسْتِعْمَارْ
يَحْسَنْ عَوْنِي عْفَسْتْ عْلَى سُمْعَتْهَا بَقْتْ الثّوْرَه كَانْ عَمْرِي مَنْ الصّْغَارْ
ثَلْثْمِيَة شَهِيدْ زِيدْ ثْلَاثِينْ مْعَاهَا وَمَادَا شَافُو مَنْ مْعَارَكْ وَالدّمَارْ
وَالشُّهَدَا جْمِيعْ نَحْتَرَمْ قْبَايَلْهَا كُلّْ بَيْتْ بَيْتْ وْفَرْدْ وْدَوّارْ
يَا طَالَبْ اقْرَا عَالْمْعَارَكْ وَافْهَمْهَا وْلاَ تَنْسَى ارْوَاحْ الشُّهَدَا الاَبْرَارْ
مَعْرَكَة جَرْجِيرْ عَنْدَكْ لاَ تَنْسَاهَا تَقْعَدْ للتّارِيخْ كِي وَضْحَ النّهَارْ
وْمَحْصَرْ بَشْقَافْ لْلْغَرْبْ حْدَاهَا فِي مَتْلِيلِي كَانْ مَجْمَعْ للثّوّارْ»

والقصيدة طويلة حيث يؤرخ الشاعر للمعارك التي جرت وشارك فيها أبناء الجنوب من محصر بشقاق والجرجير إلى جبل بوكحيل وكسال غربا ومعركة قصر الحيران والشلالة شمالا إلى معركة جبل عيسى إلى الحدود التونسية شرقا.

[62] مخطوط قصائد الشاعر، بحوزتنا نسخة منه، ورقة: 56.

كما نجد أيضاً الشاعر علي بلحاج[63] : هو علي بن قويدر من محمد بن الحاج، وأمه النوية بنت قدور بن محمد بن الساسي بن سيد أحمد بن أحمود، ولد بالمنيعة يوم الاثنين 12 عاشوراء 1321هـ الموافق لسنة1903م بالمكان المسمى "فجيجة النياق" والتي تبعد عن المنيعة بحوالي 70 كلم.

في سنة 1930 كان أول اتصال وانخراط له في صفوف الحركة الوطنية بعدها في سنة 1935 انخرط في جمعية العلماء المسلمين بمكتبتها بالمنيعة، تحت إشراف المرحومين عمار الساسي والطالب حمة بلحاج وكان هذا المكتب يشرف على كل من مدينة عين صالح، ورقلة، متليلي، والمنيعة وفي سنة 1936 عيّن كمندوب للمكتب في المؤتمر الذي انعقد بمدينة الجلفة.

وافته المنية يوم 15 سبتمبر 1991م على الساعة الثالثة ظهرا بمستشفى المنيعة.

ومن الشعر الثوري له نجد أنه يصف اللحظات الأولى لدخول المحتل الفرنسي للأراضي الجزائرية:

«نبدَا نَنْظَمْ نْعِيدْ لَكْ هَذَا المَقَالْ ثَبَّتْ عَقْلَكْ مْلِيحْ وَتْصَنَّتْ لِيَّا
تَارِيخْ الحَادْثة الدَّوْلَه الفَتِيّه
التَّارِيخْ اللِّي مْفَصّل بالتَّفْصَالْ عْلَى الجَزَائِر قْدِيمْ وَافْهَمْ مَعْنَايَا
وَقْتْ الأَتْرَاكْ نْخَبَّرْكْ عْلَى الاِحْتِلاَلْ عَامْ ثْلاَثِينْ بَعْدْ الأَلْفْ وَثَمْنَمْيَه
يَوْمْ انْ هَجْمَتْ فْرَانْسَا عْلَى الوْطَنْ قْبَالْ مَنْ بَابْ فْرَجْ دَخْلَتْ جْنُودْ قْوِيّه»

ويستمر الشاعر في وصف الواقعة متتبعا أحداثها بدقّة وبراعة والغيض والحسرة يملآن صدره ويشعلان نار الثورة به.

أما شقيقه الشاعر حمّة بلحاج فيقول في نفس الغرض واصفا إحدى الذكريات التي عايشها فيقول[64]:

«يَومْ رَبْعَة أفريل كي تْكَشّفُوا الاَسْتَارْ وتوضّح مَا كَانْ خَافِي بَاسْرَارُو
تَرَى القَوْمْ مْوَزّْعَه فِي شَاوْ نْهَارْ مَقْسُومَه حَوْزَاتْ نَايَضْ غْبَارُو
يَا الاِسْلاَمْ غْلاَهْ عُدْنَا رَبْعْ أشْطَارْ ويَوْمْ العِيدْ الكّلْ يَسْبَحْ بَاذْكَارُو
مَاذَا افْعَلْ بِينَا الكَافَرْ الاِسْتِعْمَارْ شتَّتْنَا كَالرّيشْ بَارْيَاحْ امْكَارُو

إلى أن يقول واصفا حال المجاهدين:

«ويَومْ الهَوْلْ الدَّم يَجْرِي كَالأَنْهَارْ بَالخثري والكور صيّحْ مَسْمَارُو
طيّارة وأطْنَاكْ والمدْفَعْ زَغْدَارْ دَارْ أكْبَادَه في السّمَا ثَاقْبَه نَارُو
وَالمُنَافِقِينْ تَذْبَالْ أُو تَصْفَارْ وْحِزْبْ الله بَايْنَه لِيهْ اشْوَارُو»

وله قصيدة أخرى يثني فيها ويشكر المجاهدين على حسن صنيعهم قائلا:

«الشُّكْرْ نْخَصّصُو للمُجَاهِدِينْ اللّي مْسَمّيِنْهَمْ جَيْشْ التَّحْرِيرْ
انْصَرْهَمْ يَا الله بَالنَّصْرْ المُبِينْ مَنَّكْ يَاتِي النَّصْرْ وَانْتَ يَا قَدِيرْ
انْصَرْهَمْ كِيف مَا نْصَرْتْ الأَوْلِينْ اصْحَابْ رَسُولْنَا البَشِيرْ النَّذِيرْ
كِيمَا أَيَّدْتْهَمْ بْنَصْرَكْ فِي حُنَيْنْ فِي يَوْمْ أُحُدْ وْبَدْرْ وْفِي وَقْعَةْ خُوبِيرْ

[63] نبذة عن المجاهد علي بلحاج، انجاز مكتبة فوريم، حاسي القارة، المنيعة.

[64] لعمش بوعمامة، مخطوط كتاب على مدارج النضال للمجاهد محمد جبريط مصدق.

بْجَاهَكْ يَا الله عِينْ المَظْلُومِينْ وَبْجَاهْ اللِّي يْكُونْ جَاهُو لِيكْ كْبِيرْ»

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن الثورة التحريرية والمقاومة الشعبية في الجنوب الجزائري خاصة بولايتي غرداية والمنيعة كانت حاضرة في الأشعار الشعبية التي أصبحت السنوة خاصة يتغنين بها في مختلف المناسبات، وسنورد هنا بعض النماذج من الأشعار التي تتغنى بها النسوة عند مذابيح بلدية ضاية بن ضحوة ومنها:

«يَوْمْ مِينْ رفْدُّوا اَلْمِيرْ وِابَيّكْ يَابَكَارَهْ وُيَاْعَاْيْشَهْ وِيْنْ دَارْ سِيدِكْ
يَارَبّي حُطْ رَحِمْتَكْ رَانّا مَاْطُقْنَاشْ حِسْبُوهَاْ كِيْ اَلْجْلَبْ وْ رفْدُوا
مُحَمَدْ هِزْ قِبِلْتِكْ رَاهْ لِعْلَامْ طَاحْ وْقَــاعْ ارُيَّــاسْ لَقْــطُوهَا»[65]

وأيضاً

«اَلْرُومِي جَابْ وَرِقْتُوا وقَالْ اعْلَى اَلْشِهْبَّانْ وِاَلْعِيْدْ ايْقُولُوا ابْرِيزُوا
امْعَــمَرْ فَكْــهَا فِيْ يَــوْمْ اَلْمَعْــرَكَهْ وْيَمِينَهْ جَــابِتْ نْمُورَهْ
اَلْعِيدْ انْتَا شْوَايْعِكْ جَاتْنِي مِنْ ابْعِيدْ وْيَمِينَهْ جَابْتِكْ وَحْدِكْ
آنَّا مَا شُفْتْكُمِشْ رَانِي غِيْرْ نَسْمَعْ بِيكُمْ وَاَلْقَوْلْ ايْوَاتِي سْبُوعَهْ»

وأيضاً

«اَنّا حَالْفَهْ ايْمِينْ مَا انْدِيْرْ اَلْجِنَّهْ غِيرْ الاَ خَرْجِتْ افْرَانْسَا مِنَّا
اَلْطَيَارَهْ رَافْدَه بِنْ بَلَّهْ هِيَّ اذْهَبْ وُرَاسْهاَ فَضَهْ
اَنّا حَالْفَهْ ايْمِينْ مَا انْدِيْرْ اَلْجِنَّهْ غِيرْ الاَ خَرْجِتْ افْرَانْسَا مِنَّا
طَالْعَهْ لِلْبِيرْ وِرَاسِي عِرْيَانْ كِي ايْجِي بُومَدْيَنْ انْبَايْعُولُوا»

وأيضاً

«ياناس الخير بشروني بن بله ســرحــوه ولا مــزال
البــيوعي ايلبسوه اشكاره ولا ايهدمــولوا سنــيه
بن عمي في الحبس ميت والبيوعي في دارو فرحان
الكرسي يستاهلوا بن بله ولي ايسرحوا المحبوسين»

ومنها أيضاً

«شُفْتْ إمْلِيكَهْ إمْسَرْكْلَهْ كِي الدِبانْ
عْلَى إطْيُورْ إسْرِيكَهْ و لْقَلْبْ رَاه حَايِرْ
لِيْلِتْهُمْ هَامَّا اعْجَاجْ وْقَبَارَهْ
وَاشْ مِنْ سِبَهْ لَاحِتْ خَاوْتِي اهْنَا
رَاهُمْ رِفْدُوا البُومْبَهْ فِيْ اَلْطَيَّارَهْ
رَاهُمْ شَافُوا خُوتِي فِي الدَارْ طَيْحُوهَا
خُوتِي لَحْرَارْ هَامَّا كِي إيْشُوفُوا ذِيْ اَلْجُنُودْ»

[65] مخطوط أغاني شعبية نسوية بولاية غرداية، ورقة: 15.

وكذا

«اَلْعِيسَاوِي وَاْشْ دَارْ انْ بَاصَيْتُوهْ
يَا سِيدِي الكُومِنْدَانْ وَاشْ إتْسَالُوْا
اَلْعِيسَاوِيْ رَاهْ فِي اَلْــبَاطِلْ مَحْبُوسْ
وْيَعْطِيكُمْ يَا بِيبَانْ اَلْنْصَارَى تكْسَارَى
وْكُـلْ لَيْلَهْ عَــنَّا اَلْبِيــبَانْ يِصَّــالُوا»

ومنها

«راني مَتنويّه عْلَى بُومــدينْ كِي سَكَّرُو اعْليهْ البِيبَانْ
يَبْكوا اعْلِــيه الشُّهَــادَا وَعْلَى ابَّيْهَمْ زَيــن الرَّايَسْ
رَاهُو امْسَامِي الأمير عَبْدَ القَادَرْ لِي ابْــقَى ايْزُورُو يَعْطِيه
أَنَا وَالخَاوَه قَاعْ نَاطْحِين رَاهْ مْخَلِّي خَطْ اطْرِيقُوا مَقْدُودْ
أَنَــا لاَ حَدّْ اثْنِينْ رَافْدِينُوا وَمْــدَافَعْ بَاهْيَه وَطَيّارَاتْ
أَنَا هُوَ هَزّْ لِيتيمْ وَالهَجَّالَه وَاسْكَنْ العَالْية مَا وَلاَّشْ»[66]

وفي متليلي أيضاً تتغنى النسوة ببعض الأشعار الخاصة بالثورة منها:

«كُنَّا تَحْتْ التْرَابْ المجُاهِدِين طَلّْعُونَا
شَرْبُوا سَيْ[67] النِّيَاق اللِّي طَلْعُوا الجبَلْ الوَاعَرْ
لاَطْفَالْ لِيقدا وَلياماس وَدّْعُوا الدَّنْيَا
سَكْنُوا رُوس الجْبالْ خَلاَّوْ اوْلاَدْهَم ايْتَامَة
عَنّهم رَاني نْجِيبْ يَا سَعْدِي زَايْرِين مَكّة»[68]

أهزوجة عن المجاهدين (المنيعة):

«كَــتْــلُــو وَلاَدْ الــرُّومِّــي وَدَّاوْ وَطَــــنْــــهَــــمْ
نَــبْــكِي عَــلا لَــطْــفَــالْ مَــــاتُــوا بَــــلَا وَدَعْ
خَــلَّا الــوَالْــدَيْــنْ وَالــبَّــزْ[69] وَالــنَّــسَــا
مَــانِــيــشْ طَــمَّــاعَــة وَنَــبْــكِــي عَــلَــى الــوَطَــنْ
فِــيَ جَــنَّــة الــرَّحْمَــانْ اَدُونِــــي مَــعَــاكُــمْ»[70]

[66] نصوص شفوية مدونة بحوزتنا

[67] سي: الحليب

[68] نصوص شفوية مدونة بحوزتنا

[69] البز: الأطفال.

[70] نصوص شفوية مدونة بحوزتنا.

أهزوجة عن الثورة (المنيعة):

«يـانـا كِي نَقْدَا لَجْبَالْ نْكَرَّزْ [71] تَـقْبَضْنِي سِينْيَا[72] وَسَكْنَتْ لَعْظَـأمْ
يَـحْـسَـنْ عَوْنِي لَـيَـا بَـكَـيْـتْ طَـيَّـارَةْكَأْتـلَـه خَوَيْلِي شَهِيـدْ
دُوكْ لْـمُـجَـاهِـديـنْ رَقْـدُوا [73] يَـجْـعَـلْ جَـنَّـتْـهُمْ لَـوَرْدْ وَرَّيْحَـانْ
نَـحْمَدْ رَبِّي ضَحَيْـتْ نَرْقَـدْ فِي زَهْـوَةحَـاكْـمِـيـنْ فِي لَطْفَـال
وَلْـيَعْطِيـكْ لِي زَهَـاوْخُـوتِـي وَدَيْـنَـا اِسْتِقْـلَالْـنَـا فِـي الحَـيَـاةْ
رَانِـي مَـجَـاهْـدَا رُوحِـي لَـوْ كَـانْ نْـصِـيـبْ نْـخَـلَّـصْ مَـضَـاعْ
وَرُّومِّي كِـالَبْـهِـيـمْ[74] يَـمْـشِـي قَـدَّامْ خَـوْتِـي قَـرَادْ وَكَابُـوسْ»[75]

خاتمة

ونخلص في الأخير إلى أن الشعر الشعبي الملحون كان له دور كبير في الثورة التحريرية بالجنوب الجزائري، وذلك من خلال تسليط الضوء على المعاناة التي كان يعيشها الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، وكذلك وصف بعض المواجهات والمعارك التي خاضها الشعب الجزائري رافضاً الاستعمار ومتطلعاً إلى الانتصار والحرية، واستخدم الشعراء في ذلك أساليب مباشرة وأخرى غير مباشرة من خلال لجوئهم إلى الرمز واستحضار بطولات السابقين من الصحابة والفاتحين للاقتداء بهم في تخليص بلاد الإسلام من الاستعمار الغاشم.

[71]- نكرز: الصرع.

[72]- السينيا: الحمى.

[73]- رقدوا: استشهدوا(الموت).

[74]- كالهيم: كالحيوان.

[75]- حاورنا في ذلك: خيرة بن الشيخ: 09 /2015/09، في بيتها، 11:00 صباحا.

قائمة مصادر البحث ومراجعه

بلقاسم خميلي، روائع الشاعر الشعبي عبد الله التخي بن كريو، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، السحاولة الجزائر، د. ت، د. ط .

بوعلام بالسايح، أشعار الهوى والوغى لمحمد بلخير: نصوص من التراث الشعبي الجزائري، تر: نور الدين خندودي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهارANEP ، الجزائر، 2007.

ديوان الشاعر الفحل الشيخ أحمد بن الحرمة البرياني (1835م – 1924م)، جمع وتأليف: مطلق عمار بن الحاج سعد، د. د. ن، د. ط، د. ت

سليمان بوغلابة، حصار 20 نوفمبر 1960م لقلعة المقاومة ومهد الثورة متليلي الشعانبة، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي غرداية، ط1، 2015 .

عبد الحميد عبابسة، الدر المكنون في الشعر الملحون، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1996، د. ط.

لعمش حسين وآخرون، الدر المنثور من شعر بن لخضر قدور، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي غارداية، ط1، 2020.

محمد عمر الدّعة ومؤلفون معه، سلسلة الأبطال، المجلد 7، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

مطلق عمار بن الحاج سعد، مدخل إلى تاريخ أولاد سيدي يحي الحسني الأشراف بالصحراء الجزائرية، ط1، 2011، مطبعة سي العربي، بن عكنون الجزائر.

مفدي زكرياء. إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، د. ط.

ناصر صبار، مصطفى بن إبراهيم: شاعر الحنين إلى الوطن، وهران الجزائر، 2002.

بولرباح عثماني، المنفى والإحساس بالحنين إلى الوطن في الشعر الشعبي الجزائري (مقال)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي لتامنغست، مج9، ع2، 2020.

عاشور سرقمة، المغازي في الشعر الشعبي عند شعراء الجنوب الجزائري، مجلة الفنون الشعبية، المملكة الأردنية الهاشمية، وزارة الثقافة، ع/24، 2018.

محمد بشير بويجرة، تجليات الأنا والغبن في الخطاب الشعري الشعبي محاولة في رسم معالم الذات والآخر: قلبي تفكر الأوطان نموذجاً (مقال)، مجلة إنسانيات، crasc، وهران الجزائر، ماي -ديسمبر 2002.

خالد الشامخة، ديوان الشّاعر الشّعبي الشّعانبي قدّور بلّخضر بيتور، مخطوط .

لعمش بوعمامة، مخطوط كتاب على مدارج النضال للمجاهد محمد جبريط مصدق.

مخطوط قصائد الشاعر شبير جلول وحياته .

مخطوط أغاني شعبية نسوية بولاية غرداية.

نبذة عن المجاهد علي بلحاج، انجاز مكتبة فوريم، حاسي القارة، المنيعة.